

## العلم يسلط الضوء على القتل الطقوسي في أور

جون نوبل ويلفورد

صحيفة نيويورك تايمز

26 أكتوبر 2009

At Ur, Ritual Deaths That Were Anything but Serene

By John Noble Wilford

The New York Times Newspaper

ترجمة: علي الحارس



جون نوبل ويلفورد

كاتب متخصص في الشؤون العلمية في صحيفة نيويورك تايمز.  
حاز على جائزة بوليتزر الصحافية مرتين (للكتاب في الشؤون العلمية).  
إجازة في الصحافة من جامعة تينيسي.  
ماجستير في العلوم السياسية من جامعة سيراكيوس.  
شهادتا دكتوراه (فخرتان).  
أستاذ زائر ومحاضر في عدد من الجامعات الأمريكية.

يرى علماء الآثار أن ما قاموا به من فحص جديد لجماجم مستخرجة من مقبرة ملكية اكتشفت قبل ما يقرب من قرن في مدينة أور، أدى إلى دعم تفسير أكثر ترويعاً من قبل للأضحيان البشرية التي رافقت طقوس الدفن الملكية في بلاد الرافدين القديمة. فالعاملون في القصور لم يكونوا يتلقون سمًا يميتهم بطريقة هادئة في هذه الطقوس. وإنما كانوا يموتون بغرس آلة حادة (حربة مثلاً) في رؤوسهم.

وقد توصل علماء الآثار في جامعة بنسلفانيا الأمريكية إلى هذا الاستنتاج بعد إجراء أول تصوير مقطعي محوري (CT Scan) لاثنتين من الجماجم المستخرجة من المقبرة التي تعود إلى 4500 سنة مضت. وكانت هذه المقبرة الضخمة المكونة من 16 قبراً والغنية بالذهب والمجوهرات قد اكتشفت في عشرينيات القرن الماضي. وما بدأ كحدس من قبل علماء الآثار في ذلك القرن، كشف في النهاية عن أحد الجوانب المبهرة في قمة حضارة بلاد الرافدين.

## العلم يسلط الضوء على القتل الطقوسي في أور



جمجمة امرأة مغطاة بالحلي عثر عليها في أحد مدافن أور.

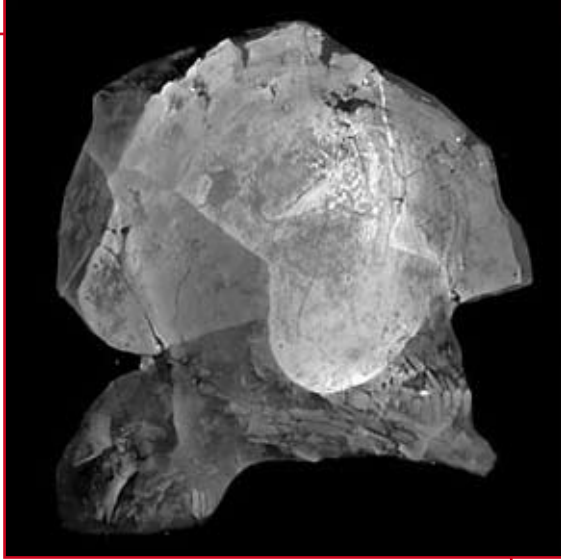
إن اكتشاف حوالي 2000 مدفن قد برهن على ممارسة التضحية بالبشر على نطاق واسع في القدم. فعند موت الملك أو الملكة. وربما قبل ذلك، يتم قتل من يعمل في البلاط (الخادمت، المحاربتن...)، ثم ترتب أجسادهم على نسق محدد. فمثلاً: تكون الخادمت مرتديات قبعاتهن المزخرفة، وتوضع أسلحة المحاربتن إلى جانبهم.

وكان عالم الآثار الانكليزي السير ليونارد وولي (C. Leonard Woolley) الذي قاد عملية التنقيب المشتركة بين جامعة بنسلفانيا والمتحف البريطاني، قد اقترح بأن العاملين في البلاط تم قودهم إلى حجرات الدفن. وهناك شربوا سما واستلقوا تهيؤاً للموت؛ وأصبح هذا الاقتراح القصة الرسمية المتداولة في ما بعد.

لم يكن هنالك غير بعض الجماجم ضمن الرفات المكتشفة في المدفن. وحتى هذه كانت مهشمة إلى قطع صغيرة (لا بسبب طريقة الوفاة وإنما ضغط التربة المتراكمة عليها عبر القرون). وكانت هذه الحالة سبباً في إحباط الجهود الأولى لإعادة بناء تلك الجماجم.

يقول الدكتور ريتشارد زيتلر (Richard L. Zettler)، المتخصص في آثار بلاد الرافدين وأحد أمناء متحف الآثار والانثروبولوجيا في جامعة بنسلفانيا، أنه خلال التحضير لمعرض جديد حول آثار أور في المتحف أجرى الباحثون تصويراً مقطعيًا محورياً (CT Scan) لعظام جمجمتي رجل وامرأة؛ فحصلوا على صور ثلاثية الأبعاد لكل قطعة، مما مكنهم من

## العلم يسلط الضوء على القتل الطقوسي في أور



صورة جمجمة امرأة (بالتصوير المقطعي المحوري) عثر عليها في أحد مدافن أور.

معرفة موضع كل منهما: ثم قاموا. تقودهم عالمة الانثروبولوجيا البدنية الدكتورة جانيت مونغ (Janet M. Monge). بتطبيق آليات الطب الشرعي من أجل التوصل إلى الأسباب المحتملة للوفاة في الحاليتين.

وفي مقابلة مع الدكتورة مونغ ذكرت بأنه تم اكتشاف ثقبين دائريين يبلغ قطرها حوالي بوصة واحدة في قحفي جمجمتي المقاتل

والمرأة. ولكن الدليل الأكثر إقناعا. بحسب الدكتورة مونغ. كان الإشعاعات الصادرة من شقوق الثقبين. فنمط التشققات على طول خطوط الضغط لا ينتج إلا إذا كانت الثقوب قد حدثت قبل الوفاة؛ وعظام الموتى القديمة لا تتكسر كذلك. وإنما تنشظى كالزجاج. وبذلك تخمن الدكتورة مونغ بأن الثقبين نتجا عن آلة حادة وأن الوفاة «كانت فورية على الأكثر ونتاجة عن رض بألة غير حادة».

إن القتل الطقوسي المرافق للوفيات الملكية كان أمرا تمارسه العديد من الثقافات القديمة؛ وهنا يتساءل علماء الآثار: إن كان المرء حينها يعلم بهذه العادة. فكيف كان يتقبل العمل في البلاط الملكي؟ وتجب الدكتورة مينغ على ذلك بقولها: «هذا الأمر يشبه القتل الجماعي. ومن الصعب علينا أن نتفهمه. ولكن في الثقافة التي تعتبره علامة شرف كبير. يصبح ذلك بمثابة رد للجميل لما عاشه العاملون في البلاط من رفاهية. فضلا عن ذلك. لم يكن الانتقال إلى العالم الآخر بالنسبة لهم أمرا رهيبا بالضرورة».

## العلم يسلط الضوء على القتل الطقوسي في أور

إضافة إلى ما سبق، يقول الدكتور زيتلر أن البحث الجديد أظهر دليلاً على أن أجساد بعض الضحايا لم تتعرض للحرق وإنما تم تسخينها وشيئها ومعالمتها بمادة كيميائية يدخل الزئبق في تكوينها ضمن عملية تحنيط بدائية لم تكن في مستوى مثلتها المتقدمة في حضارة مصر المعاصرة لذلك الزمن؛ وكان ذلك «لمجرد حفظ الأجساد من التحلل خلال طقوس الدفن المديدة» بحسب قول الدكتور زيتلر.

بعيدا عن ذلك الجو الحزين، يقول الدكتور زيتلر أن الموقع الأثري لأور (المدينة/الدولة) القريب من مدينة الناصرية في العراق لم يتعرض لسوء خلال العمليات الحربية التي أدت إلى خراب بعض المواقع الأثرية ونهبها؛ فأور محمية في محيط قاعدة جوية تم تسليمها إلى العراقيين مؤخرا.